المحاضرة رقم -٠٧-

نظرية ما بعد الحداثة

١-الجذور الفكرية لنظرية ما بعد الحداثة

تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة بعد الحرب العالمية من خلال تحليلات "سمورفيل" التي تناولت كتابات المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" في كتابه "دراسة في التاريخ"، حيث أرجع كل من "سمورفيل" و"تونبي" تاريخ ظهور فكرة ما بعد الحداثة مع ظهور مع يعرف بالمرحلة الرابعة في التاريخ الغربي بعد انهيار عصور الظلام، والتي وصف خلالها مجموعة التغييرات الحديث التي ظهرت مع نشأة الطبقات البورجوازية الوسطى والتي أدت إلى الاستقرار الاجتماعي.

وبعد عقد الخمسينات ظهرت أفكار سوسيوتاريخية لفكرة ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما ظهر في تحليلات "رونالد روزنبرج" في كتابه "الثقافة الجماهيرية" ليصف الأحوال الجديدة للحياة في المجتمع الأمريكي.

ومع أواخر الخمسينات وبداية الستينات تطور مفهوم ما بعد الحداثة وظهرت البوادر السوسيولوجية والفكرية لنظرية ما بعد الحداثة عامة، وهذا ما جاء في تحليلات علماء الاجتماع المعاصرين امثال "رايت ميلز" وتصوراته حول الخيال السوسيولوجي الذي حاول أن يصف مرحلة ما بعد الحداثة بأنها تطورت مع نهاية العصر الحديث.

وخلال عقدي الستينات والسبعينات، تطور مفهوم ما بعد الحداثة وامتدت جذوره الفكرية إلى مجالات أخرى غير علم الاجتماع مثلما استخدمه "جيفري باراكلوف" وتفسيره للتطورات التي حدثت خلال التاريخ المعاصر واستخدامه عند تفسيره لواقع العالم الثالث ومجموعة التصورات التي ظهرت لمقاومة الإمبريالية، كما ظهرت في الدراسات الأدبية والثقافية وفي علم الآثار والفنون.

أما خلال الثمانينات والتسعينات تطورت خلالها العوامل الفكرية والثقافية، التي أثرت على تحديث أفكار نظرية ما بعد الحداثة من خلال محاولة تبنيها نظرية نقدية تعالج

القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والأدبية من منظور مختلف عن النظريات السوسيولوجية الاجتماعية والتقليدية المعاصرة[1].

٢-مفهوم الحداثة: يشير المصطلح إلى المرحلة الحديثة التي ظهرت بعد ظهور المجتمعات التقليدية، والتي تميزت بظهور الاختراعات والديناميكية المستمرة، كما يمكن أن نشير إلى الحداثة في إطار تحليل المراحل التاريخية اللاحقة لعصر التنوير، وما تميزت به أنماط التفكير الإنساني وتبنيها للتفسيرات العلمية والعقلانية، باعتبار أن العقل والعلم مصدر للتقدم عن طريق المعرفة المنظمة.

٣-نظرية ما بعد الحداثة

يرى الكثيرين من المحللي النظرية، أنها جاءت لتقييم وانتقاد النظريات السوسيولوجية الأخرى، فهي بمثابة نظرية سوسيولوجية ذات طابع نقدي، تحاول إعادة تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الذي تركته مجموعة النظريات السوسيولوجية الكبرى.

كما تحاول تحليل النظريات السوسيولوجية المعاصرة وانتقادها لمعالجة أطرها التصورية والفكرية والقضايا الأساسية التي قامت عليها، كما تهدف إلى البحث عن أسس جديدة لتفسر المعرفة الإنسانية بالبحث عن مواطن الضعف والقوة فيها.

إن العديد من النظريات الفرعية التي تندرج تحت ما يسمى بنظرية ما بعد الحداثة تفتقد للمداخل الشمولية الكبرى، وتسعى لتأييد النظريات السوسيولوجية الحديثة، التي تتبنى النظريات الصغرى، كما رفضت هذه النظرية الكثير من الافتراضات والمقولات العامة التي قامت عليها النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، خاصة تلك التي أيدت فكرة التماسك والتضامن والتوازن الاجتماعي، كما تنتقد النظريات التي تعتمد على توحيد الموضوعات ومجالاتها الخاصة والتي تعتمد على التصورات المركزية أو الشاملة[2].

---

[1] عصام عبد الله: الجذور النتشوية لما بعد الحداثة، الفلسفة والعصر، العدد الأول، أكتوبر ١٩٩٢، ص ٢٢٩

[2] فايز الصباغ: علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص١٧٠

٤-القضايا الأساسية لنظرية ما بعد الحداثة: ويمكن حصرها في النقاط الآتية[٣]

- هل تمثل ما بعد الحداثة فترة يكون فيها ثمن التقدم أي التدمير البيئي أكثر أهمية من تحقيق مزيد من التقدم المادي؟
- هل حلت قضايا الثقافة، المعرفة كل القضايا الاقتصادية والمادية كأحد الملامح المميزة لمجتمع ما بعد الحداثة؟
- هل حدثت العولمة بالفعل، أي هل يوجد حاسم في ماهية قوة الاتصال التي أنتجت مجتمعا ذكوريا؟.
- هل تضاءلت أهمية المسائل الطبقية مقارنة بمسائل النوع الاجتماعي، السلالة، العرق والجنسية وغيرها من الأسس الأخرى للهوية؟
- هل أضحى الفراغ، الاستهلاك أكثر أهمية من العمل، الإنتاج؟

٥-الاسهامات التي قدمها رواد النظرية

٥-١-جان بودريار والتحول نحو ما بعد الحداثة:

عالم اجتماع فرنسي معاصر، معظم تحليلاته توصف بأنها تبنت الاتجاه النقدي ولاسيما في حملته ضد الماركسية، كما أن تحليلاته كشفت عن اهتمامه خاصة لتأثير التكنولوجيا، والثورة المعلوماتية الإعلامية والاتصالية على تشكيل نظرية ما بعد الحداثة.

ومن أهم آرائه

أ- التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة

جاءت آراء "بودريار" مرتبطة بتفسير للحداثة لوضع نظرية ما بعد الحداثة، وأشار إلى الحداثة على أنها سمة من سمات الحضارة وهي ضد التقليدية.

وفي إطار تحليلاته لعمليات التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة سعى "بودريار" إلى دراسة كيفية تحول المجتمعات من مرحلة الرمزية إلى المجتمعات الإنتاجية، فعملية التبادل في المجتمعات الأولى تتم عن طريق الرموز المتبادلة باعتبارها نوع من نسق القيم، كما عالج

[٣] مصطفى خلف عبد الجواد: نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، عمان، ٢٠١٢ ص٥٢٦

"بودريار" قضايا أخرى مثل العمليات السياسية الصغرى، والتي تهتم بدراسة العمليات وممارسات الحياة اليومية، الخطابات المؤسساتية، الاتصال...

ب- استراتيجية الهلاك

جاءت تحليلات "بودريار" لتعكس أفكار جديدة لم تطرح من قبل العلماء المنظرين لعلم الاجتماع أو غيرهم، وهذا ما عالجه في تصوراته حول نظرية ما بعد الحداثة والتي تميز بعضها بالطابع الخيالي أو الميتافيزيقي عند عرضه للكثير من الموضوعات والقضايا، وهذا ما تمثل في فكرته عن استراتيجية الهلاك، والتي ركز من خلالها على عملية المحاكاة ليصور أن الناس افقدوا التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه، وهناك العديد من مظاهر الهلاك كالكوارث وانتشار الأمراض...، يسعى الإنسان من خلالها أن يكون أسير للعلاقات ويفقد صلته بالعالم الخارجي، ويسعى لتقليد الآخرين، وبالتالي نظرية الهلاك وما يتحدث من خلالها عن نهاية الواقع الاجتماعي واختفاء الإنتاج[4] الرأسمالي تغلب عليها طابع الغموض والخيال والبعد الميتافيزيقي في تفسير الواقع الاجتماعي.

٢-٥-جون فرانسوا ليوتار وتفسيره فكرة ما بعد الحداثة

وتمثلت أهم أفكاره في:

أ-حال ما بعد الحداثة:وهي تعتبر انعكاس لاهتماماته بدراسة أحوال المعرفة التي توجد في المجتمعات المتقدمة الرأسمالية، واستخدامه لمفهوم ما بعد الحداثة ليصف حال هذه المجتمعات، وعليه يسهم في الدراسة النقدية والسوسيولوجية في المحتوى العام الثقافي والمعرفي.

ب-المعرفة وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة: ركز من خلالها على اللغة والمعرفة والأدب، وسعى لتحليلها في إشارته لظاهرة ثورة المعلومات أو حسوبية المعرفة، والتي يمكن من خلالها استخدام المعرفة لدراسة البناءات والنظم الاجتماعية، وطرح "ليوتار" هذه الفكرة محاولا أن تصبح في مكان نظرية الأنساق الاجتماعية لدى "بارسونز" أو نظرية التشكيل الاجتماعي عند

[4]Danilo Martucceli, Sociologie de la modernité, E. Gallimard, Paris, 1999, P50

"جيدنز" وعليه حاول "ليوتار"[٥]وضع نظرية سوسيولوجية لما بعد الحداثة، تقوم على دراسة اللغة واعتبارها محكا لتحليل ظروف مجتمع ما بعد الحداثة.

٥-٣-سكوت لاش وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة

تركزت تصوراته حول سوسيولوجيا ما بعد الحداثة على البعد الثقافي والتمييز بين مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، عالج من خلالها عدد من المداخل والمنظورات البحثية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة قضايا ومشكلات مجتمع ما بعد الحداثة.

كما حاول "لاش" مناقشة فكرة ما بعد الحداثة التي باتت تطرح ذاتها أمام المعالجات السوسيولوجية فأصبحت موضع اهتمام علماء الاجتماع، خاصة بعد أن لعبت وسائل الاتصال والمعلوماتية دورا أساسيا في الحياة العامة واهتم بمعالجة الاختلافات الناتجة عن ما بعد الحداثة، وذلك بتركيزه على النسق الثقافي والمعرفي باعتباره من أهم الأنساق التي يقوم عليها سوسيولوجيا ما بعد الحداثة، كما أولى اهتماما أكبر للمظاهر الثقافية الحديثة التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة، في إطار تحليله للعلاقة بين نظرية ما بعد الحداثة والنظرية النقدية عامة[٦].

٥-٤-جيدنر ونظرية التشكيل الاجتماعي

تمثلت إسهامات "جيدنر" في نظرية ما بعد الحداثة في:

أ-النظرية السوسيولوجية المعاصرة:

ركز خلالها على ضرورة التكامل بين الاهتمامات والتحليلات الميكروسكوبية والماكروسوبية، وهذا ما ظهر في طرحه لنظريته عن التشكيل الاجتماعي.

وفي الواقع حرص "جيدنر" على تبني بعض الأفكار الماركسية، ووجه انتقاد شديد للماركسية، حيث اتخذ موقفا راديكاليا من معظم النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، خاصة وأن هذه النظريات انقسمت، فبعضها تبنى التحليلات الكبرى الشاملة،

---

[٥] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣، ص٨١

[٦] أحمد مجدي حجازي: النظرية الاجتماعية في مرحلة ما بعد الحداثة، قضايا فكرية، الهيئة الجامعية المصرية، مصر ١٩٩٩، ص ٩٥

والبعض الآخر تبنى التحليلات الميكروسكوبية، وعليه دعا "جيدنر" إلى أهمية تكامل هذه النظريات.

كما سعى إلى تفنيد بعض النظريات السوسيولوجية التي اتخذت مداخل تحليلية صغرى أو كبرى، ورأى بأن الفصل بين التحليلات الكبرى والصغرى لا تعتبر شيئا مفيدا ذلك من منظور تأكيده المستمر على ضرورة التكامل بين التحليلات السوسيولوجية، وبذلك طرح نظريته عن التشكيل الاجتماعي لأنها نقيض من جميع النظريات السوسيولوجية وتجمع بين التحليلات الكبرى والصغرى في نفس الوقت[٧].

ب-أسس نظرية التشكيل الاجتماعي:

لاحظ "جيدنر" أن النظريات السوسيولوجية على أنواعها لم تهتم اجمالا بشيء اسمه المجتمع، وإنما ركزت على شيئين مستقلين وهما البناء والفعل وهذا يعتبر خطأ من الناحية الواقعية، ولذا حرص "جيدنر" على عرض فكرته عن التشكيل، والتي تعتبر الفكرة المحورية في نظريته بأن هناك ما يسمى بثنائية البنية، وضرورة الجمع بين البناء والفعل باعتبارهما العنصران الأساسيان لتكوين المجتمع.

وعليه حرص "جيدنر" على أن يطرح نظريته حول التشكيل الاجتماعي والتي تندرج تحت إطار التحليلات ما بعد الحداثة ودعا إلى ضرورة إلى العودة إلى النظرية السوسيولوجية التي تشتمل على التحليلات الشاملة والمصغرة في نفس الوقت، وبالتالي نقول أن نظرية التشكيل الاجتماعي عند "جيدنر" تعتبر نظرية سوسيولوجية بصورة عامة.

٦-تقييم نظرية ما بعد الحداثة

تعرضت النظرية لجملة انتقادات نذكر منها:

١- جاءت بعض الآراء في دراسة النظرية من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي، وهذا ما جاء في آراء "ليوتار" وتصوراته حول استراتيجية الهلاك.
٢- جاءت محاولات بعض رواد النظرية لتعيد الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية.

---

[٧] زعريان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٧، ص٣٥

٣- إن تطور استخدام مفهوم الحداثة خلال فترة الستينات والسبعينات أصبح موضوع اهتمام الكثير من أنصار النظرية الذين وجدوا في الأدب والثقافة موضوعا خاصا لإبراز مرحلة أو مجتمع ما بعد الحداثة وهذا ما ظهر في مجموعة الثقافات المضادة للثقافات السائدة، وهي تعكس مرحلة التمرد الفكري من جانب روادها من خلال محاولة طرح أفكار وأطر تصورية ومرجعية تختلف كلية عن الحداثة.

٤- تميزت تحليلات علما ما بعد الحداثة بالمغالاة في تبنيها المدخل الثقافي، ولم تعط اهتماما كبيرا لدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية الواقعية.

٥- تميزت كذلك آراء أصحاب نظرية ما بعد الحداثة بالطابع الميتافيزيقي والفلسفي المجرد وهذا ما جعل تحليل أفكارها غامضا ومبهما[٨].

٦- حاولت نظرية ما بعد الحداثة أن تفسر الواقع الاجتماعي في مرحلة ما بعد الحداثة من خلال تركيزها على دراسة ت التاريخية الحديثة من مرحلة الرأسمالية الغربية، وهذا ما جاء في تنوع مداخلها التحليلية لدراسة الظواهر الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ولكنها لم تستطع أن تحلل العلاقات المتداخلة بين هذه الظواهر أو معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى مرحلة ما بعد الحداثة.

[٨] يوسف سلامة: نقد ما بعد الحداثة، الحضارة بين الحوار والصراع في عصر ما بعد الحداثة، الأدب، العدد ٠٤، ٢٠٠٠ ص١٤